

الموطن الأصلي للأنباط

د. / سليمان بن عبد الرحمن الذبيبي

من

المعروف أن من أوائل المصادر الكتابية التي تحدثت عن الأنباط بصفتها وحدة عرقية، إذا استثنينا من ذلك الحوليات الآشورية (Na- ba-a-a-ti) والمعهد القديم (Nebaioth)^(١) هي المصادر «الكلاسيكية» فقد ورد اسم الأنباط عندما تحدث ديودورس الصقلي Diodorus Sicily عن الحملتين العسكريتين اللتين قام بها السلوقيون ضد الأنباط، وذلك: إما دفعهم إلى عدم التحالف مع البطالمة المنافس الرئيس لهم في السيطرة على الشرق،^(٢) أو رغبة من السلوقيين في وضع أيديهم على مصادر ثروة الأنباط^(٣). وكانت الحملة الأولى التي انتهت كما هو معروف بهزيمة الفرقة العسكرية السلوقية التي أنيطت إليها مهمة السيطرة على البتراء (السلع - الرقيم) قد دفعت أنتيجونوس Antigonos إلى إرسال حملة عسكرية ثانية بقيادة ابنه ديمتريوس Demetrius انتهت إلى عقد اتفاقية مع البرابرة (الأنباط) كما نعمتهم أنتيجونوس عند علمه بهذه الاتفاقية^(٤). وبعدها لا نجد ذكراً لأي معلومات عنهم إلا في حدود منتصف القرن الثاني قبل الميلاد عندما نعت اليهود زعيم الأنباط في تلك الفترة الحارثة الأول (١٦٩/ ١٦٨ ق. م) بلقب Tyrant أي المشرع أو الطاغية^(٥)، ومن ثم برز الأنباط على أنهم قوة عرقية سياسية لها وزنها الإقليمي الذي لعبته حتى أصدر الإمبراطور الروماني تراجان (٧٨-١١٨ م) قراره المشهور القاضي بضم مملكة الأنباط لتصبح مقاطعة إدارية تابعة للإمبراطورية الرومانية سنة ١٠٦ م والممالك الأخرى الصغيرة التي كانت تفصل بين الإمبراطوريتين الرومانية والبارثية في خطوة مهدت الأجواء لشن حملاته العسكرية على الإمبراطورية البارثية^(٦).

إلا أن السؤال المطروح هو من أين جاءت هذه القبائل العربية النبطية؟ فهل هي أصلاً قبائل بدوية عاشت في المنطقة نفسها؟ أم قبائل مهاجرة من مكان آخر دفعتها ظروف معينة إلى الاستقرار فيها؟. فالبعض يرى أنهم أصلاً من منطقة أدوم، بينما يرى البعض الآخر أنهم من شمال نجد وبالذات من جبال حائل. ورأى بعض المختصين أنهم قد قدموا من جنوب شبه الجزيرة العربية، ويعتقد آخرون أن موطنهم الأصلي هو شمال شرقي شبه الجزيرة العربية، بينما ترى مجموعة أخرى من الباحثين أنهم من وسط غرب شبه الجزيرة العربية.

وبالنسبة للاحتمال الأول الذي يقول إن الأنباط أصلاً من منطقة أدوم أو شرقها^(٧)، فهو احتمال ضعيف نظراً، لأن الدراسات الأثرية العائدة للفترة الزمنية فيما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد (وهي الفترة التي آلت فيها الأمور في هذه المنطقة سياسياً إلى سيطرة الامبراطوريتين الكلدانية والإخمينية، أي من ٥٥٢ - ٣٣٢ ق. م) في منطقة أدوم لم تسفر عن وجود أدلة لاستيطان بشري دائم ومستقر فيها مما يدل على وجود فراغ حضاري بلغ عدة قرون بين المخلّفات الأثرية الأدومية (مثل الفخار الأدومي والنواحي المعمارية) وبين المخلّفات الأثرية النبطية (في القرن الأول قبل الميلاد مثل الفخار النبطي)^(٨) فقد دلت الدراسات التي قامت بها جامعة Emory في سهل الكرنك والتي شملت ١٤٨ موقعاً على عدم وجود أدلة أثرية تدل على وجود فارسي متأخر (٥٠٠ - ٢٥٠ ق. م)^(٩) كما أن المسح الأثري الذي قام به ماكدونالد في وادي الحسا في الأردن دل على وجود مواقع أثرية تعود إلى العصر الحديدي (الأدومي) لم تستخدم في العصر الفارسي^(١٠)، بينما كانت المواقع الأثرية العائدة إلى الفترة النبطية في السهل الأدومي تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد. وهذه الشواهد والمعثورات الأثرية القليلة التي تعود إلى الفترة الإخمينية تعود (كما يرى بارتلت) إلى عدم اهتمام الإخمينيين بهذه المنطقة، وأنهم صبو اهتمامهم بجبال أدوم^(١١). وهذا يقودنا إلى الاعتقاد بأن الإخمينيين قد استخدموا الطرق الداخلية (أي داخل سوريا) للربط بين الشرق والغرب ولم يعيروا اهتماماً كبيراً بالطرق عبر الأراضي الأدومية التي تركتها للقبائل العربية البدوية (المستقرة في المنطقة بين غزة وأنيسوس) التي قدمت المساعدة لجيش قمبيز (سنة

٥٢٥ ق. م) عند مروره بهذه الأراضي في طريقه إلى مصر^(١٢). وقد كافأ الإغينيون هذه القبائل العربية باستثنائهم من دفع الجزية (انظر أسفل).

وهكذا فلو كان الأنباط أصلاً من هذه المنطقة (آدوم) أو على مقربة منها لرأينا على الأقل استمرار بعض المفاهيم الحضارية الآدومية خلال هذه الفترة الزمنية من خلال الأنباط (باستثناء استمرار عبادة الإله ذو الشرى، فاقترباس الألهة الوثنية عادة معروفة ومتبعة عند قبائل وشعوب الشرق الأدنى القديم)، الذين أظهروا مع مرور الزمن مفاهيم حضارية مختلفة عما كان لدى الآدوميون الذين اندفعوا إلى الشمال تاركين مواطنهم وأراضيهم على إثر حملة نبوخذ^(١٣) هذه القبائل الجديدة (الأنباط)^(١٤) التي تدل (كما سنرى) مفاهيمهم الاجتماعية والثقافية المبكرة على عدم احتكاكهم بالمراكز الحضارية.

ويقترح البعض أن جنوب شبه الجزيرة العربية هو موطن الأنباط^(١٥) وأنهم هاجروا منها بعد سقوط سد مأرب خلال القرن الخامس قبل الميلاد^(١٦) وذلك استناداً إلى التشابه في بعض النواحي المعمارية بالذات، في النظام المائي المتبع لدى الأنباط وقبائل جنوب شبه الجزيرة العربية. ويجب ملاحظة أن المقصود بالنظام المائي ليس أنظمة القنوات المائية التي انتشرت وعرفت في أنحاء متفرقة من شبه الجزيرة العربية مثلاً في منطقة الأحساء^(١٧) وفي منطقة نجد خصوصاً ليل والخرج وبالذات موقع ٢١٢ - ٦٣ الذي تعود قنواته المائية إلى الفترة الهلنستية^(١٨) وفي الحجاز خصوصاً في العلا وهي قنوات أعادها عبد الله نصيف إلى الفترة الهلنستية^(١٩) وعلى كل يبدو أن نظام القنوات المائية قد عرف بشكل مكثف وملاحظ في الفترة الإخينية^(٢٠)، ولكن المقصود هو التشابه في خزانات المياه أي الصهاريج التي تحفظ فيها مياه الأمطار حيث دأب الأنباط على حفر خزان (صهريج) ذو فتحة صغيرة نسبياً تزداد مساحته تدريجياً وهي ذات أطوال ١٠٠ قدم × ١٠٠ قدم. ثم يقوم الأنباط بملء الخزان بالماء وتغطية فتحته ووضع علامة عليها لا يعرفها إلا هم^(٢١). بينما كانت الخزانات أو الصهاريج في جنوب شبه الجزيرة على العموم ذات أشكال مستطيلة أو دائرية وغالباً ما يتراوح قطرها بين ٢٠ × ١٣٠ قدماً وعمقها ما بين ١٣ إلى ٢٦ قدماً وبعضها يحتوي على درج يصل إلى الأرضية، أما فتحة الخزان فهي صغيرة^(٢٢).

وهذا لا يكفي على أنه دليل على أن الأنباط قد تركوا موطنهم في جنوب شبه الجزيرة العربية، لأنهم لو كانوا فعلاً كذلك لما اكتشفوا بنقل هذه الظاهرة الواحدة فقط، بل لنقلوا على الأقل النظام الكتابي ومظاهر حضارية أخرى، كما حصل مع المستوطنين المعينيين الذين أنشأوا مستوطنات معينة في العلا خلال القرن الرابع قبل الميلاد^(٢٣) (أي في فترة ظهور الأنباط) لأسباب تجارية. فقد نقل هؤلاء معهم الكثير من المظاهر الحضارية من الجنوب إلى هذه المنطقة (الحجاز) وليس أقلها النظام الكتابي. كما أن جميع المعثورات المكتشفة في المناطق النبطية المختلفة مثل النظام المعماري، الفن، الزخرفة والفخار وغيرها (التي يقول عنها بيتر بار أنها ذات علاقة بأصول هلنستية)^(٢٤) ليس لها علاقة أو أصل مع ما عرف في جنوب شبه الجزيرة العربية. وهكذا فهذه المقولة على ضوء دراسة المعثورات والمخلفات الأثرية في كلتا المنطقتين تحتاج إلى أدلة أكثر وضوحاً.

وبالنسبة لمقولة أن الأنباط أصلاً من شمال أو وسط غرب الحجاز^(٢٥) أو القول بأنهم برزغوا من خلال القبيلة العربية المعروفة بنو قيدار^(٢٦) فهي غير مؤثرة. فرغم أن الحجاز (وخصوصاً مناطقه الشمالية) قد أدى دوراً تجارياً ملحوظاً منذ الألف الثاني قبل الميلاد استناداً إلى دراسات بيتر بار على فخار قُرَيْة (في أقصى الشمال الغربي للحجاز) المطلي والعائد إلى الألف الثاني والتي تظهر وجود تأثيرات مصرية^(٢٧)، إلا أن استمرارية الاستيطان البشري غير واضحة فقد أثبتت الدراسات أن الاستمرار السكاني الدائم والمستقر في بداية الألف الأول وحتى بداية التدخل الآشوري في المنطقة في القرن السابع قبل الميلاد (أي القرون الثلاثة أو الأربعة الأولى من الألف الأول قبل الميلاد) غير موجودة كلياً^(٢٨). والواقع أنه من تلك الفترة بدأت القبائل العربية بالتدفق والاندفاع إلى الاستقرار في هذه المنطقة (بل حتى أن الآشوريين قد شجعوا القبائل العربية إلى الاستقرار في سوريا لمنعهم من التسلل إلى بلاد الرافدين)^(٢٩) وبدأ الازدهار الحقيقي للطرق التجارية بين الجنوب والشمال ثم مصر وسوريا وبلاد الرافدين مما دفع الامبراطوريتين الكلدانية (مثلة في نبوخذ) والإخمينية إلى السعي للسيطرة على المواقع الاستراتيجية في شمال شبه الجزيرة العربية وشمالها الغربي مثل دومة الجندل وتيباء وديدان. إلخ. واهتمت الامبراطورية الإخمينية بالطريق

التجاري الذي يربط الجنوب بالشمال في شبه الجزيرة العربية لذلك عينت ما يعتقد أنه حاكم فارس على مدينة العلا^(٣٠) وأهملت المناطق الداخلية (سواء الشمالية أو الوسطى) لشبه الجزيرة العربية. والواقع أن عدم انتشار التأثيرات الحضارية الإخمينية (بخلاف بعض المظاهر مثل القنوات المائية) على الحياة يعود إلى أن العلاقات بين هذه القبائل (القاطنة هذه المنطقة) والإخمينيين كانت قوية مما دفعهم إلى ترك الأهالي المحليين لإبراز حضارتهم ومفاهيمهم المحلية تمامًا كما عمل الآشوريون مع بعض المدن الآرامية القديمة، حيث أثبتت الدراسات الأثرية أن المدن ذات النزعة الاستقلالية والعداية لآشور كانت أكثر تأثيرًا وانطباعًا بالتأثيرات الآشورية من المدن الآرامية التي اندفعت إلى القبول بالسيطرة الآشورية حيث تركهم الآشوريون وشأنهم^(٣١). وهكذا ترك الأهالي المحليون في شمال الحجاز من قبل الفرس في إبراز مظاهرهم الحضارية الخاصة بهم، لكن هذا لا يمنع من وجود تأثيرات إغريقية على المظاهر الحياتية المختلفة في المراكز الحضارية المهمة مثل العلا وغيرها سنهاها عندما تقام حفريات أثرية فعالة في المنطقة.

ولذلك فالقول: أن شمال الحجاز هو الموطن الأصلي للأنباط لا يستند على دليل علمي، فالمنطقة من نهاية الألف الأول قبل الميلاد إلى القرن السابع لا توجد بها أدلة استيطانية مستقرة، كما أن المنطقة في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد ممثلة في ديدان كانت على مستوى حضاري وثقافي مرموق ورفيع (فهناك أدلة كتابية على وجود مملكة في ديدان قبل القرن الخامس قبل الميلاد، أي بعد سقوط بابل وقبل دخول الإخمينيين،^(٣٢) يتناقض مع ما نعرفه عن القبائل العربية النبطية في القرن الرابع قبل الميلاد من مفاهيم اجتماعية بدوية صحراوية وهو ما يتناقض كذلك مع القول بأنهم فرع من قبائل بنو قيدر^(٣٣)).

ويرى البعض أن منطقة الهفوف في الأحساء هي الموطن الأصلي للأنباط مستندين على، أولاً: أن الإله، «ص ع ب» والذي عرف في موطنهم الأصلي قبل هجرتهم قد حور مكانه في شرق شبه الجزيرة العربية، استنادًا إلى جغرافية بطلمي الذي حدد مكان Apataioi an the ath ritual في منطقة غرب Mount Zames وبالذات في الهفوف^(٣٤)، ثانيًا: الاعتقاد على نص

هيروغليفي وجد على خرطوشة في معبد آمون يذكر أن العرب هم «هجر» وبما أن «هجر» هي المنحرف قديماً فإن الأنباط هم الهجراتيون الذين أدوا دوراً تجارياً بين الخليج العربي ومصر. وعرف الهجراتيون بارتباطهم بالأنباط، ثالثاً: التشابه والتقارب اللغوي بين الجماعات العربية التي خلفت نقوشاً عربية عرفت باسم Proto-Arabian وجدت في كل من أور ونيبور وأورك وأبو صلبوخ والنقوش العربية المعروفة في تاج والمنحرف وعين جاوران مع الآرامية والنبطية^(٣٦). وهذه الأدلة المذكورة أعلاه لا تصب للأسف فيما نعرفه عن الأنباط في بداياتهم كما وصفهم الكتاب «الكلاسيكيون»؛ فلو أن الأنباط على علاقة عرقية بالهجراتيين لنقلوا معهم المفاهيم الحضارية المتعددة التي اكتسبوها نتيجة احتكاكهم بالمراكز الحضارية في جنوب بلاد الرافدين المعروفة علاقتها بالخليج العربي منذ فترة الأسرات المبكرة وتزايد هذه العلاقات خلال فترة أور^(٣٧). ثم لماذا لم ينقلوا معهم الخط والقلم المعروف بالحساني^(٣٨) الذي كتبوا به نقوشهم المعروفة في كل من شرقي شبه الجزيرة العربية (الأحساء) وجنوب بلاد الرافدين. وهكذا فكل النظريات السابقة لم يحالفها الصواب نتيجة تغافل أصحابها عن حقيقة كون الأنباط في بداية ظهورهم كانوا أقرب إلى البداوة منهم إلى الحضارة، بينما النظريات السابقة تعيدهم إلى مراكز حضارية بعدت كلياً عن البداوة. ونرى أنه لمعرفة الموطن الأصلي لهذه القبائل العربية النبطية يجب علينا أن نأخذ بالاعتبار ما ورد في المصادر والكتابات «الكلاسيكية» (مثل سترابو الذي أخذ معلوماته عنهم من صديقه الفيلسوف اثينودوس الذي ولد وعاش بين الأنباط)^(٣٩) التي تحدثت عنهم (في بداياتهم) بشكل تفصيلي؛ فقدمت لنا الكثير من المعلومات عن تقاليدهم وعاداتهم ومفاهيمهم. وبمعنا لتأكيد وجهة نظرنا وصف المؤرخ ديودور الصقلي أحوالهم في بداية القرن الرابع قبل الميلاد حيث يقول «... لقد ألوا على أنفسهم ألا يبذروا حباً ولا يغرسوا شجراً يؤتي ثمراً ولا يعاقروا خمر ولا يشيدوا بيتاً ومن فعل ذلك عقابه الموت... إلخ»^(٤٠).

وهذا يعني أنهم في تلك الفترة مازالوا متمسكين بالمفاهيم البدوية، فهم لا يحبون كل ما يؤدي إلى الاستقرار والاستيطان مثل بناء البيوت وممارسة الزراعة وهم شديدو التعلق

بأخريه كما أنهم متمرسون بالصحراء ، يتخذونها معقلاً لهم يفيتون إليها إذا دامهم عدو (كما فعلوا عندما وجه إليهم انتيجونوس حملته الثانية) . وهكذا فهم قبائل بدوية دفعتهم ظروف ما ، سواء أكانت سياسية أم طبيعية ، إلى ترك موطنهم الأصلي الذي كان حتماً إلى الجنوب من دومة موطن بنو قيدار أثناء القرن السادس قبل الميلاد كما تذكر ذلك المصادر التوراتية ، وكما يدلنا نقش آشور بانيبال الذي ذكر في حوارياته أنه دخل منطقة بعيدة لا يوجد فيها ماء حارب فيها الأنباط ، وكان يوثع (بائع) الملقب بملك العرب قد هرب من الأشوريين إلى الجنوب (جنوب دومة ووادي السرحان) حيث موطن الأنباط^(٤٠) ، لأنه المكان الصحراوي البعيد والصعب الاجتياز ، ولذا فإن الموطن الأصلي للأنباط (كما ورد في التوراة والحواريات الأشورية) يقع إلى الجنوب من أراضي بنو قيدار الرعاة ، وهي تقريباً المنطقة الواقعة بين حائل جنوباً والقصيم شمالاً ، أي في شمال منطقة نجد وبالشذات الصحاري الواقعة شمال شرقي القصيم حيث لا مكان لطير ولا ماء^(٤١) .

• الهوامش •

١ - أصبح من شبه المؤكد أن كلمة Na-ba-a-a-iš المذكورة في الخوليات الآشورية، وتايوت المذكورة في العهد القديم، تعني أسلاف الأنباط قبل هجرتهم من موطنهم الأصلي الذي يقترح كلاسرمان نيايوت كانت مشيخة في القصبم (انظر علي، جراد). • المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: جامعة بغداد، ١٩٧٨م) مج ١، ص ٤٣٧. ولناقشة تحول التاء إلى الطاء في النشوش السامية انظره

Abu Taleb, M., "Nabayatu, Nabayot, Nabayat and Nabu: The Linguistic Problem Revised, *Dirasat* 11 (1984), PP. 3-11.

كما يجب أن لا يغيب عن البال احتمالية أن كاتب هذه الأسماء المختلفة النطق لللفظة ن ب ط كانوا لا يعرفون اللغة العربية، كما يقع الكاتب الغربي الحالي في خطأ كتابة اسم إحدى القبائل أو الأماكن في العالم العربي أو العكس. ولذا، فربما كتب الكاتب خطأ التاء عوضاً عن الطاء.

٢ - صالح، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، القاهرة: مكتبة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، (١٩٨٨)، ص ١٦٣. بينما يذكر محمد يومي مهران أن سبب الغارة ضد البتراء تعود إلى مولاة الأنباط لبطلبوسوس الأول (٣٢٢ - ٢٨٣ ق.م) (انظر، تاريخ العرب القديم، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية مج ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، ص ٣١٧. ويذكر نجف أن أنتيجونوس حول نظره إلى الأنباط ١ لأنهم كانوا يشكلون عقبة ضد مصالحه (انظر،

Negev, A., "The Early Beginnings of the Nabataean Redm", *Palestine Exploration Quarterly*, (1976), P. 125.

Jones, A., *Cities of the Eastern Roman Province*, Oxford: Oxford University Press (1971), P. - ٣ 232; Bartlett, J., "From Edomites to Nabataeans: A Study in Continuity," *PEAQ*, (1979), P. 55; Bartlett, J., "From Edomites to Nabataeans: The Problem of Continuity," *Aram* 2 (1990), P. 27; Knauf, E., "The Persian Administration in Arabia," *Achaemenid History, Center and Periphery*, Proceeding of the Groningen 1986, Achaemenid History Workshop, ed. by H. Weerdenburg, A. Kuhrt, Leiden (1990), P. 202.

لكن يبدو أن الدافع الذي قاد أنتيجونوس إلى الاستيلاء على البتراء هو أن الدلائل السياسية تشير إلى أن استغلالاً سياسياً سييسر في المنطقة مما يؤدي إلى عودة الحياة مرة أخرى إلى الطرق التجارية بهذه المنطقة (ومنها موقع البتراء) مما سيؤدي إلى ازدهار اقتصادي، وغذاً قرر أنتيجونوس الاستيلاء عليها.

Diodorus of Sicily. Translated by. C.H. Old Father Loeb Classical Library. New York. - ٤ (1933), PP. 93, 105.

وللمزيد من المعلومات حول هاتين الحملتين العسكريتين، (انظر:

Riddle, J., *Political History of the Nabataean from the Time of Roman Intervention Until Loss of Independence in 106 A.D.*, "North Caroline, MA Thesis. (1961), P. 24.

علي، جواد، الفصل مج ٣، ص ص ١٦ - ١٩.

٥ - الفاسي، هتون.، الحياة الاجتماعية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني ميلادي، الرياض، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ص ١٦٨.

٦ - مهران، بيومي، تاريخ العرب القديم، ص، ٣٣٤.

Negev, A., "The Nabataeans and the Provincia Arabia", Aufstieg und Niedergang der Römischen Welt, II Principat 8, (1977), PP. 640-2.

Bartlett, PEQ, (1979), P. 65. - V

Glueck, N., "Explorations in Eastern li, "The Annual of the American Schools of Oriental Research, 15, (1934-1935), P. 139.

إلا أن بعض المختصين يزيد في الفترة الزمنية لتصبح من القرن السادس وحتى القرن الأول قبل الميلاد، انظر:

Hart, S., "Survey and Soundings Between Tafileh and Res en - Naqb 1985", Liber Annus 35 (1985), P. 412

بينما المسح الذي قام به متجلي في سهل الكرك أثبت أنه من المائة والخمسين موقعاً التي تعود إلى العصر الحديدي فقط ثمانية عشر موقعاً استمرت حتى الفترة الفارسية انظر:

Mattingly, G., "Settlement on Jordan's Kerak Plateau from Iron Age IIC Through the Early Roman Period," Aram 2, (1990), P. 325

لكن مما يؤكد نظرية كلوك أن الكثير من المواقع الأدومية قد أنشئ عليها مباشرة مواقع نبطية، مما يدل على شيئين: الأول أن الأنباط لم يستولوا كلياً على أدوم في وقت قصير بل أخذ منهم الاستيطان في أدوم وقتاً طويلاً يصل إلى أكثر من قرن. والثاني، أن الأنباط وصلوا إلى المنطقة وهي تقريباً خالية من سكانها الأصليين (انظر، هامش ١٤)، وإن الفوة بين المخلفات الأثرية الأدومية والنبطية (القرن الرابع - الأول قبل الميلاد) عائدة كما يرى برتلت إلى أن الأنباط كانوا يستخدمون جلود الأغنام والأخشاب عوضاً عن الفخار، انظر Bartlett, Aram 2, (1990), P. 33

Mattingly, Aram 2, (1990) P. 117. - ٩

Macdonald, B., The Wadi el Hass Archaeological Survey 1979-1983 West-Central Jordan, - ١٠ Waterloo, Ontario: Wilfred Laurier University Press, (1988), P. 191.

١١ - Bartlett, Aram, 2 (1990), P.28 وتدل الدراسات الأثرية على أن مناجم النحاس في جنوب - كما van وبالذات في موقع فينان (Feinan) كانت تعمل منذ القرن الثامن وحتى القرن الرابع قبل الميلاد انظر:

Bienkowski, P., "The Chronology of Tawilan and the Dark Age of Edom", Aram 2, (1990), P. 36).

وكان أحد الكتاب اليهود قد لفت الانتباه إلى أن مناجم النحاس والحديد في جبال أدوم كانت مستخدمة حتى القرن الرابع قبل الميلاد . . . في الماضي كانت توجد مناجم للنحاس والحديد في

الجبال القريبة من البلاد العربية لكن العمل في هذه المناجم تلاشى خلال الفترة الفارسية . . . ،
انظر:

Thackery, H.J., *The Letters of Aristeas Translated into English with an Introduction and Notes*, London, (1904), P. 27.

١٢ - يوضح هيردوت أن مناطق العرب الساحلية الواقعة من غزة إلى أمينوس لم تدفع الضرائب للفرس
(انظر):

Herodot, *Historiae*, Translated by A.D. Godley, London: LCL, (1918), Vol. 8, PP. 88, 97

ويرى أفل بعد أن ترجم لفظة «هبة» إلى نوع من الضرائب أن المملكة العربية (ما بين غزة والعريش)
قد وضعت من قبل الأخمينيين كجبارك رسمية حيث تقوم هذه القبائل بأخذ الضرائب والجبارك
لصالح الإمبراطورية الأخمينية، انظر:

The Ancient Arabs: Nomads on Borders of the Fertile Eph cal. I. Crescent a the-5th Centuries, Leiden: E-J. Brill (1982), p. 208.

وهو أمر مستبعد فقد كان يوسع الأخمينيين زرع فرق إخبينة لانتفاع الضرائب والجبارك خصوصاً وأن
خبرتهم وإمكاناتهم أفضل مما لدى عرب هذه المنطقة .

١٣ - وأحياناً يقال أن الدولة الآدومية قد انتهت على يد بختنصر سنة ٥٨٧ ق . م إلا أن البعض يستبعد
ذلك حيث إن آدم قد ساعدت نبو خنصر في غزواته ضد عامون ومزاب (انظر):

Bartlett, PEQ, (1979), p. 53, part, p., "Aspects of the Archeology of North-West Arabia in the First Millennium B.C.", *L'Arabie Préislamique et son environnement Historique et Culturel*, ed by T. Fhad, Leiden (1989), p. 49.

١٤ - يبدو أن وصول الأنباط إلى المنطقة كان بعد السقوط السياسي لأدوم بقليل ، وقد نتج عن سقوط دولة
الأدوميين فوضى اقتصادية بالمنطقة دفعتهم إلى الهجرة شمالاً هرباً من الضعف الاقتصادي نتيجة
للحرب وتدمير عاصمتهم (Bozrah) ولم يبق منهم إلا عددٌ ضئيلٌ جداً . وهذا عكس ما يقترحه
هاموند الذي يذكر أن الأدوميين عاشوا تحت الحكم الاستبدادي للأنباط (انظر Bartlett, Aram 2, (1490)، وهذا مستبعد لأنه لو بقيت طوائف معقولة منهم وهم المزارعون والرعاة لأمروا بطريقة أو
بأخرى خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد على المقاطعات الخاضعة النبطية . ولكن تمسك
الأنباط بالحيلة البدوية حتى القرن الرابع قبل الميلاد يدل على أن الأدوميين قد غادروا أدوم بعد
سقوط عاصمتهم وقبل وصول الأنباط إلى الأراضي الآدومية .

Glueck, N., *Deities, Dolphis*, New York (1965), p. 4; Strack, J., *PPetra et la Nabatene*, - ١٥
Supplément au Dictionnaire de la Bible, 7, (1966), PP. 900-3:

علي، جواد، الفصل، مع ٣، ص ١٠ .

١٦ - Negev, PEQ, (1976), P. 123 وهو هنا يكرر مفهوم المؤرخين الإسلاميين عند تفسيرهم هجرة
القبائل العربية من اليمن والتي كانت بسبب تهمدم وسقوط سد مأرب الشهير .

Potts, D., "Northeastern Arabia in the Later Pre-Islamic Era", *Arabie Orientale Mésopotamie et Iran Méridional*, Paris, (1984), PP. 109-110.

١٨ - زارينس، يوريس، إبراهيم، محمد، بوتس، دانيال، إيدنز، كريستوفر، «التقرير الميداني عن المسح في المنطقة الوسطى (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)»، الأطلال ٣، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م)، ص ٣٥ - ٣٦.

Natif, A., "Qanats at al-Cula", "Proceeding of the Seminar for Arabian Studies 10 (1979), P. ١٩ 76.

وهو لم يذكر سبباً لتحديد هذه الفترة الزمنية، ولذلك يفضل دعمه بدراسة مفصلة للمواد الأثرية الأخرى.

٢٠ - للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، انظر:

English, W., "The Origin and Spread of Qanats in the Old World", Proceeding of the American Philosophical Society, 112, (1968), PP. 170-181.

٢١ - Negev, PEQ. (1976), P. 126 وعاد نجف مؤخرًا إلى تأكيد احتمالية أن الأنباط قد طوروا هذه الخزانات والصهاريج خلال الفترة البابلية بل حتى الآشورية، انظر:

Negev, I, Nabataean Archaeology Today, New York, (186), PP. 5-6.

٢٢ - Negeve, PEQ. (1976), P. 131.

٢٣ - وللمزيد انظر الفاسي، هتون، الحياة الاجتماعية، ص ٧٩ - ٨١. وكان المعينون قد سعوا في تلك الفترة إلى إنشاء العديد من المستوطنات في مناطق مختلفة من شمال شبه الجزيرة العربية أملاً منهم في الاستفادة من ازدهار الاقتصاد الواضح نتيجة استخدام الطرق التجارية، لمعرفة هذه المستوطنات، انظر:

Garbini, G., Iscrizioni Sudarabiche, I: Iscrizioni Mince Napoli, (1974), Nos: 247, 392-398.

Parr, P., "The Nabataeans and North-West Arabia", Bulletin of the Institute of Archaeology - ٢٤ 8-9, (1968-69) P. 252.

٢٥ - Parr, BIA, 8-9 (1968-69), PP. 250-3 «الأنباط ومسكن صالح» الأطلال ١٠، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ص ١٣٦.

Knauf, A., Nabataean Origins, [" in Arabian Studies in Honour of M. Ghul, 1984, ed by M. ٢٦ Ibrahim, Wiesbaden, (1989), PP. 57-61

وقيلة بنو قبادر قبيلة عربية بدأت في الظهور منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد عندما هزمهم بنو بختنصر ولجأوا بعد آشور بانيبال. وقد امتدت مناطقهم من دومة شرقاً حتى سواحل البحر الأحمر غرباً وشمالاً حتى غزة ثم داخل سيناء. وقد استخدموا القلم الآرامي في نقوشهم وكتاباتهم.

٢٧ - ويستنتج بيتر بار من ذلك أن الطريق التجاري بين تيبا، وقرية القادم من جنوب شبه الجزيرة العربية كان مستخدماً في ذلك الوقت، وإن مصر تأخذ حصتها من البخور والعطور قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد، انظر:

Parr, L'Arabie Préislamique et son environnement Historique et Culturel, (1989), P. 42.

لكننا نستبعد ذلك ؛ لأن هذه الطريق التجارية لم تبدأ بالازدهار كما دلت الدراسات إلا خلال الألف الأول قبل الميلاد . وبالنسبة إلى حصول مصر على البخور والعطور من اليمن خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد فهو كذلك مستبعد حيث إن الدراسات الأثرية تشير إلى ضعف النشاط السكاني المستقر والدائم في اليمن خلال الألف الثاني قبل الميلاد (انظر إلى دراسة الفريق الأمريكي على الطريق التجاري :

Sauer, J., Blakely, J., "Archeology along the Spice Route of Yemen, "in *Araby the Blest, Study in Arabian Archaeology*, ed. by D. Potts, the Carlsen Niebuhr Institute of Ancient Near Eastern Studies, (1988), PP. 91-115

فكيف كانت تنقل البخور والعطور إلى الشمال ومن ثم إلى مصر . ولكن يبدو أن المصريين كانوا يجلبون بخورهم وعطورهم في تلك الفترة عن طريق سواحل البحر الأحمر ومن ثم في فترة متأخرة (متذ الألف الأول قبل الميلاد) اتجهوا إلى اليمن . وبالنسبة للاتصال الحضاري بين مصر وشمال الحجاز، فلا يستبعد أن يكون قد تم عن طريق البحر الأحمر . خصوصاً إذا عرفنا أن معرفة المصريين القدماء بالبحر تعود إلى الأسرتين الأولى والثانية أثناء اتصالاتهم بفينيقيا (انظر أوليري ، دي لاس . ، جزيرة العرب قبل البعثة ، ترجمة موسى على الغول ، عمان : وزارة الثقافة (٢٢) ، (١٩٩٠م) ، ص ص ٤٠ - ٤١ .

٢٨ - آدامز، روبرت . ، البراهيم، محمد . ، بار، بيتر . ، المغنم، عل . ، «الاستكشاف الأثري للمملكة العربية السعودية ١٩٧٦م، تقرير ميداني عن المرحلة الأولى من برنامج المسح الشامل» ، الأطلال ١ (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ، ص ص ٤١ - ٤٢ .

٢٩ - وليس كما يرى بيتر بار من أن الآشوريين شجعوا القبائل العربية للاستقرار داخل سوريا ؛ لأنهم يريدون منهم أن يحموا الطرق التجارية بدلاً من الأهالي المحليين ، انظر :

Parr, L' Arabie Préislamique et son environnement Historique et Cultural, (1989), P. 44

Jaussen, J., Savignac, R., Misson Archeologique en Arabie, Paris: Publication de la Societe - ٣٠ Fouilles Archeologique, (1907-1914), No: 349 Lin; Winnett, F., Reed, W., Ancient Records from North Arabia, Toronto: Toronto University Press, (1970), pp. 115-7; Winnett, F., A Study of the Lihyanite and of Thamudic Inscriptions, Toronto: Toronto University Press, (1937), pp. 50-1.

وللأنصاري رأى مخالف للترسيخ المعطى من قبل ونيث حيث يرى أن معنى كلمة ف ح ت هو فحت الفئات أو الأقسام أي حفرها . انظر الفاسي ، هتون ، الحياة الاجتماعية ، ص ١٦٤ ، هامش ١٣ . ويتصور برنلت وجود حكام إحيينيين في أدوم ومواب نظراً لثبوت الأدلة بوجود حكام إحيينيين في كل من العلا (دبدان) وجودة (Judah) ، انظر :

(Bartlett, PEQ, (1979), P. 59

Frankfort, H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, London: The Shenvall Press, - ٣١ (1954), P. 166.

وانظر كذلك : سليمان الذيب ، دراسة تحليلية للنقوش الآرامية القديمة في تباه : المملكة العربية

السعودية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ص ٢٦.

Parr, L' Arabie Preislamique et son environnement Historique et Culturel, (1989), P. 51. - ٣٢

٣٣ - رغم عدم وجود دليل يؤكد هذه المقولة، ولكن، وعلى كل حال، انظر: عباس، إحسان، أبو طالب، محمود، شمال الجزيرة العربية في العهد الآشوري، عمان: منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية. - جامعة اليرموك (١٩٩١م)، ص ٢٥.

Milák, J., "Origines des Nabatéens", In: Studies in the History and Archaeology of Jordan - ٣٤
1, ed. by A. Hadidi, Amman (1982), PP. 261-5.

الذي يرى أن موقعهم هو (Mutayer) في الجنوب الشرقي للكويت الحالية، وكانت هانستد في دراستها للفخار المكتشف في فيلكا في الفلعة الهلنستية قد توصلت إلى أن الفخار العائد إلى الفترة الهلنستية ذو اللونين الأحمر والأسود (الذي أطلق عليه اسم الفخار العربي) معروف في البحرين والإحساء (مواقع تاج، وعين جاوران، وتاروت) بينما كانت الأوعية الشبيهة بالأوعية النبطية رديئة الصناعة، انظر:

Hannestad, L., "The Pottery from the Hellenistic Settlements on Failak", In Arabie Orientale Mesopotamie et Iran Meridional, (1984), PP. 72-3.

وهذا يدل على الاتصال الحضاري والسكاني بين مناطق شمال ووسط الخليج العربي خلال تلك الفترة، وبالنسبة للفخار الذي أطلق عليه اسم الفخار العربي فهو لا يشابه الفخار الذي عثر عليه في النقب والذي يعود إلى ما قبل ظهور الفخار النبطي (القرن الأول قبل الميلاد) وأسماه نجف Negev Type، انظر Negev, PEQ, (1976), P. 131

Graf, D., "The Origin of the Nabataeans", Aram 2, (1990), pp. 45-75. - ٣٥

وكان ملير قد وصف استنتاجات قراف في مقالته المذكورة أعلاه بأنها تحريزية تعتمد على التخمين، انظر: Millar, E., The Roman Near

East 31 B.C. - AD 337, London: Harvard University Press, (1993), P. 401, Note No: 101.

Dayton, J., "Herodotus Phoenicia, the Persian Gulf and India in the First Millennium BC", - ٣٦
In: Arabie Orientale, Mesopotamie et Iran Meridional, (1984), P. 363.

٣٧ - لا يزال هناك خلاف بين المختصين حول تصنيف هذه النقوش سواء التي اكتشفت في جنوب بلاد الرافدين أو في الأحساء. لمعرفة هذه الآراء باختصار، انظر: دانيال، بوتس، «تاج في ضوء الأبحاث الحديثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م»، الأطلال ٧، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ص ص ٧ - ٧٤.

Pons, D., Arabie Orientale Mesopotamie et Iran Meridional, (1984), PP. 113-118.

ويشير سليمان البدر، انظر «مكان الخليج العربي في حضارة الشرق الأدنى القديم»، في نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، ص ١٣، إلى التأثير الحضاري المتبادل بين السند والمواقع الحضارية في الخليج العربي، رغم عدم ذكره لأدلة أثرية أو تاريخية تؤكد هذا.

Sarabo, Geography, Translated by H.L. Jones, London: LCL, (1989), 8 Vols. - ٣٨

٣٩ - ٢٩ Diodorus, 10, P. 87 الترجمة مأخوذة من إحسان عباس، تاريخ دولة الأنباط، ص ٢٩.

٤٠ - اغاشمي، رضا جواد، «العرب في ضوء المصادر المسارية»، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد ٢٢ (١٩٧٨م)، ص ص ٦٥٣ - ٦٥٤، ٦٥٧، ٦٥٩. ولعصرفة أرقام هذه النقوش ولزبيد من المعلومات، (انظر: Eph'al, Ancient Arab, PP. 416-51، ويرى برتل أن المكان الذي ليس فيه طير ولا ماء هو مكان غير بعيد عن دمشق، انظر: Bartlett, PEQ, (1979), P. 64؛ ولكن هذا يتناقض أولاً مع ما هو مفترض بأنهم يقطعون جنوب أراضي بنو قيدار في ذلك الوقت، ثانياً: أن جنوب شرق دمشق ليس فيه واحات تصلح للاستقرار.

٤١ - وكان البرايت قد حدد منطقة حائل الموطن الأصلي للأنباط، انظر:

Albright, W., "The Biblical Tribe of Massa and Some Congeners", Studi Orientalistici in onore di Giorgio Levi Della Vida I, Rome, (1956), P. 12

ودعم هذا الرأي ونيت، انظر:

Winnett, F., Reed, W., Ancient Records, P. 100.

